التمثلات الاجتماعية للإعاقة في تونس

دراسة سوسيولوجيّة ميدانيّة بتونس العاصمة

الباحثة: رانية الغويّل، جامعة تونس

الملخص:

زادت ثقل التمثّلات الاجتماعيّة الموجّهة للإعاقة والذّاكرة الشعبيّة من حدّة إقصاء المعوق. إذ يقبل المجتمع بدرجة أكبر بعض الإعاقات، فكلّما كانت الإعاقة عميقة كلّما كان التّهميش والتّحقير أكبر. فالتمثّل وإن كان لا يعبّر عن حقيقة موضوعيّة فإنّه يعكس بشكل موضوعي مستويات إدراك الأفراد والمجموعات للمواضيع والأشياء ويساعدنا على رسم آليّات تمكّننا من تغيير تمثّلات المجتمع للإعاقة.

Abstract :

The social representations dedicated to the handicapped and the local memory has been increasing the edge of the handicapped exclusion. In fact, the society accepts some cases of handicapped with a higher degree. Once the handicap is more serious, the marginalization and the degradation is higher. Even Though, the representation does not display an objective truth, it reflects, in a neutral way, the levels of the individual's awareness and the pile of topics and matters. This helps us to draw out mechanisms enabling us the representations of the society regarding the handicapped.

مقدّمة:

مرّت تجربة الدول المتقدّمة في مجال الإعاقة بعدّة مراحل، ففي البداية وقع التركيز على البحث في الأسباب والوقاية من الإعاقة من الجانب الطبّي، ظهر بالتوازي مع هذا الاتجاه في المجتمعات الغربية الاتجاه المؤسساتي الذي يمثّل ضمان لرفاه الأشخاص ذوي الإعاقة قصد تحقيق الرفاه الاجتماعي.

أمّا في تونس، ينظر للإعاقة كمشكلة اجتماعيّة تستدعي البحث والدراسة بما أنها مرتبطة بتقدّم الدول ولكن تبقى نظرة المجتمع التونسي للمعوق تمثّل حاجزا أمام اندماجه وتبقى الرعاية الاجتماعية الهدف الأساسي. وعليه، فإن تمثّلات المجتمع للإعاقة ونظرته للمعوق، تؤثر بصفة كبيرة على درجة اندماجه خاصّة وأن التمثلات الاجتماعية متجددة، "فالفاعل الاجتماعي ابن بيئته يؤثر ويتأثر بأنماط التفكير السائدة فيه"[1].

ولإدراك النتائج المتعلقة بهذا العمل سنحاول الكشف عن مختلف التفاعلات القائمة داخل الأسرة والمجتمع وذلك بغية الوصول إلى مجموعة من التمثلات الذاتية والاجتماعية.

وفى هذا الإطار، سنحاول البحث عن مدي قدرة الطفل المعوق على الاندماج باعتباره فاعل اجتماعي يستمد مرجعيته للتفاعل من خلال تمثلاته لمختلف مفردات وضعيته من ناحية ولمواقف الآخرين منه من ناحية ثانية وانعكاس ذلك على الصور الاجتماعية.

1. إشكاليّة البحث:

إنّ الإعاقة العضويّة ومدى حاجة المصابين بها للمساعدة والرّعاية تجعلنا نتساءل عن واقع الطّفل المعوق عضويّا الذي يتطلّب تأمين برنامج تربوي دقيق لمواجهة الصعوبات النفسيّة والاجتماعيّة وتوفير رعاية اجتماعية تساعده على أن يحقّق ذاته من خلال الاتصال والتّبادل مع الآخرين بطريقة مباشرة أو عن طريق الرّموز. فهو في حاجة لبيئة ملائمة ومتكاملة تتضافر فيها جملة من الجهود

خاصّة من قبل الأسرة بما أنّ كلّ الأنظمة الاجتماعية تعتمد على مساهمتها في تكوين الأجيال مع تحديد مظاهر التغيّر في الأدوار المسندة لها نتيجة التحوّلات الاجتماعية، فالأسرة تسعى لتحقيق التوازن في بنيتها والتماسك الاجتماعي في مستوى العلاقات خاصّة وأنّ الأدوار تغيّرت وتطورّت بخروج المرأة للعمل وكثرة مشاغلها ولكن هل أن الأسرة التونسيّة قادرة على رعاية طفلها المعوق في ظلّ هذه التحوّلات؟ وما هي تمثلانها للإعاقة؟

وإذا تعمقنا أكثر فتفحصنا الذاكرة والمخيال الجماعي الشعبي فنجد أن المعوق عضويا في تونس هو " العايب " " المعوّج "، " نصّ يدّ "ففي ظل هذه الذّاكرة كيف للمجتمع أن يقبله؟

رغم الإقصاء الموجّه للمعوق، إلاّ أنه قادر على التفاعل والاتصال، ومن المهمّ البحث في الأنشطة التي يمارسها لفهم سلوكه وتعتبر الوضعية التي يوجد فيها الفاعل في نطاق علاقاته بالآخرين هي مجال التركيز والمعنى الذي يريد أن يعطيه لأفعاله هو مدار الفهم. ولكن كيف يمكننا إدماج مجموعة من المعوقين هم في حقيقة الأمر موصومين بالإعاقة.

على هذا الأساس، وقصد بلوغ مقاصدنا البحثيّة أمكن اختصار إشكالية بحثنا وفق الآتي:

ماهي خصائص التمثلات الاجتماعية المرتبطة بالإعاقة من وجهة نظر المجتمع، الأسرة والطفل المعوق؟ ومدى تأثيرها على إدماج المعوق؟ وهل من إمكانيّة لتغيير هذه التمثلات؟

2. فرضيّة البحث:

كإجابة مؤقتة لإشكالية بحثنا سنتطرّق للفرضيّة التالية التي يمكن تأكيدها أو دحضها من خلال نتائج العمل الميداني:

- يفقد الوصم الاجتماعي ذوي الإعاقة القدرة على الفعل والإدماج.

3. أهميّة الدراسة:

نسعى من خلال هذه الدراسة للتعرّف على واقع الطفل المعوق عضويا في تونس وتحليل الذاكرة الاجتماعية والأمثال الشعبية المرتبطة بالإعاقة وتحديد مدي ارتباطها بقدرة المعوق على الاندماج والتفاعل وإدراك التمثّلات الاجتماعية للإعاقة في تونس. كما تعتبر هذه الدراسة مهمّة كمرجع علميّ مرتبط بسوسيولوجيا الإعاقة يمكن أن يستفاد منه.

4. أهداف البحث:

تهدف الدراسة الحاليّة:

- إدراك التمثلات الإجتماية للإعاقة من خلال الذاكرة الاجتماعية للمجتمع التونسي.
- تحليل الأمثال الشعبية التونسية المرتبطة بالإعاقة.
- محاولة معرفة مدي قدرة الأسرة على رعاية الطفل المعوق.
- الوقوف عند الصورة الذاتية والتمثلات الاجتماعية للمعوق.

5. الإطار النظري للدراسة:

تعريف الإعاقة:

تبيّن لنا من خلال التعريفات التي اطّلعنا عليها حول ظاهرة الإعاقة، أنّ الإعاقة هي العلّة التي تقلّص من فرص إدماج المعوق في المجتمع، وتتطلّب مجموعة من البرامج التربويّة، النفسيّة، الاجتماعية والصحيّة لتطوير وضعيّة المعوق قصد تفعيله في المجتمع. ومن المفاهيم الأساسيّة التي اعتمدناها في بحثنا هذا، المفهوم الاجتماعي والقانوني.

ويمكن بناء على ذلك، اعتماد المفهوم الإجتماعى للإعاقة بكونها "إصابة بدنيّة أو عقليّة أو نفسيّة تسبّب ضررا لنموّ الطّفل بدنيّا أو عقليّا أو كلاهما، وقد تؤثّر في حالته النفسيّة وفي تطوّر تعليمه وتدريبه [2].

أمّا المفهوم القانوني، فقد اعتمدنا على المفهوم الّذي ورد بالقانون التوجيهي عدد 83 لسنة 2005 بالفصل 2 بأنّ المعوق هو "كلّ شخص له نقص دائم في القدرات والمؤهّلات البدنيّة أو العقليّة أو الحسيّة وُلدَ به أو لَحِقَ به بعد الولادة يحدّ من قدرته على أداء نشاط أو أكثر من الأنشطة الأساسيّة اليوميّة الشخصيّة أو الاجتماعيّة ويقلّص من فرص إدماجه في المجتمع[3].

- تعريف التمثلات الاجتماعية:

ينتقل التمثّل من مجرّد فكرة الثّبات إلى التحرّك والديناميكيّة لتصبح له صور مكوّنة من الفرد والتي تمكّن من إعادة تشكيل الواقع كمرحلة أولى ثمّ الانتقال إلى بناء الواقع وصولا إلى المرحة الأخيرة من أجل تأويله. فالتمثّل هو شكل من النظرة العامّة والموحّدة وهذا ما ذهب إليه "Moscovici" بأن التمثّلات الاجتماعية هي بمثابة رؤية للعالم إذ تنطلق من المستوى الذاتي الفردي لتصبح جماعيّة. فموضوع دراسة التمثّلات الاجتماعيّة في ترابط بين العناصر العاطفيّة والعقليّة والاجتماعيّة إضافة إلى المعارف والخطاب والاتّصال. ويؤكّد " Denise jodelet" بأهميّة التمثّلات الاجتماعيّة بما أنّها تعطي معنا "لأفعالنا وتصرّفاتنا [4].

فهذه التمثّلات لها وظيفة معرفيّة قصد فهم وتفسير واقع المعوق من خلال تحديد هويّته وتوجيه سلوكيّاته وممارساته حسب أطر رمزيّة ثقافيّة مرتبطة بالإعاقة.

6. الدراسات السابقة:

للقيام بدراسة علمية من الضروريّ إجراء البحث البيبليوغرافي والكشف عن الحالة البحثية للموضوع لأنّها تمثّل الإرث النظري الذي يساعد الباحث على تأطير أفكاره وتطويرها انطلاقا من استفادته منها ورغبته في تحقيق الإضافة.

- **الدراسة الأولي: بعنوان تربية المعوقين في البلاد العربية لمحمد الراجحي وعبد الرزاق بن عمار.**

تزامنا مع السنة الدولية للمعوقين 1981 وعشرية العمل من أجل الأشخاص ذوي الإعاقة 1982 ـ 1992، قام المركز العربى الإفريقى للبحوث وتكوين الإطارات العليا في التربية الخاصة وتأهيل المعوقين ومقره تونس بتكليف من وحدة البحوث التربوية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بدراسة حول "تربية المعوقين في البلاد العربية". وقام مدير المركز السيد محمد الراجحى (أول تونسى من المبصرين ينقل طريقة الكتابة البارزة إلى تونس ويضع الأبجدية المعربة لهذه التقنية) والدكتور عبد الرزاق بن عمار (دكتور في علم الاجتماع) بإجراء هذه الدراسة التى أنجزتها تونس وقد اعتمد الباحثان على معلومات المنظمات الدولية ذات الصلة بهذا الموضوع. ومن أهداف الدراسة التعرف على وضع التربية الخاصة في البلاد العربية وتقييم احتياجات المعوقين المتنوعة على ضوء انعكاسات الإعاقات، ومختلف الخدمات التربوية والتأهيلية والتشريعية الضرورية لإدماجهم الإجتماعى والإقتصادى.

- **الدراسة الثانية: بعنوان الخيار الاقتصادي والاجتماعي للمعوقين في المجتمع التونسي لعبد الرزاق بن عمار.**

اعتمد الباحث المنهج الكيفي والكمّي لتحليل عمله الميداني، وقد قام بتصنيف الإعاقات الخفيفة (الإعاقات السمعيّة والعضويّة والبصريّة) والإعاقات العميقة (الإعاقات الذهنيّة والعضويّة العميقة). اعتمد على الأمثال الشعبية لتحليل نضرة المجتمع للمعوق، التي تعطي فكرة على مكانة المعوق في المجتمع وما أكده هو ثقل التمثّلات الاجتماعيّة الباقية في تفكير المجتمع التونسي من خلال التنشئة الاجتماعيّة.

- **الدراسة الثالثة: لأرفينق قوفمان (Erving Goffman) حول الوصم الاجتماعي بعنوان** stigmate

قام الباحث من خلال دراسته للمعوقين العضويين في كتابه "Stigmate" بالتمييز بين شقين العاديين من جهة والموصومين من جهة أخرى. وقد اعتبر الإعاقة يمكن بمقتضاها فئة من الناس يمتلكون هوية افتراضية "identité virtuelle" تتشكل من خلال الوصم الإجتماعي، وتتناقض كليا وهويتهم الحقيقية "identité réelle" فعملية الوصم تفقد الإنسان الرتبة التي تمنحها له المجموعات الاجتماعية من خلال المعايير والقيم، والموصومين يجدون في كل الحالات سبلا وطرقا تمكنهم من التصرف في هذه الهوية المنقوصة وذلك باستغلال وضعيتهم لصالحهم.

- **الدراسة الرابعة: لألان بلان(Alain Blanc) حول الإقصاء والوصم الاجتماعي بعنوان:**

"L' handicap ou le désordre des apparences"

قام آلان بلان بدراسة المعوقين كموصومين اجتماعيين، وقد أكد الباحث أن حالة الوصم لا يمكن الهروب منها أو تجنبها حتى مع أفضل إرادة في العالم. وقد قام بربط التغيرات الموجودة في المجتمعات الحديثة بوضعية الوصم الاجتماعي.

الإضافة:

أ-النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسات:

- تبقى الإعاقة في العالم العربي محدودة في التشريعات القانونية إذ لا يوجد تطابق بين الجانب النظري والجانب التطبيقي.
- كلما كانت الإعاقة عميقة كلما كانت درجة إدماج وقبول المعوق أقل.
- الأسرة غير قادرة على تقبل الإعاقة مما أدّى للتفريط في رعاية المعوق أو تهميشه وإهماله.

- يعتبر الوصم الإجتماعى صفة موجهة لعديد من الفئات منها المعوقين وقد أكدت الدراسات أن هذا الوصم لا يمنع الواصم من التفاعل داخل المجتمع.
- تبقى مراكز الإيواء والجمعيات الموجهة للمعوقين مكان للإقامة والحماية من الشارع في غياب برامج التأهيل والتكوين.
- تعتبر الصورة النمطية للإعاقة حاجزا لإدماجه في الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

ب-الإضافات التي يمكن أن يقدمها بحثنا:

من أهمّ الإضافات تتمثل في مستوى العمل الميداني المتنوع من حيث العينة المتكوّنة من مجموعة من الأطفال المعوقين، أسرهم، والبعض من أفراد المجتمع. قصد التعمق في المعيش اليومي للمعوق بولايات تونس الكبرى (تونس1، تونس 2، بن عروس، منوية). كذلك البحث في مستوي التمثّلات الاجتماعية من وجهة جميع الفاعلين الاجتماعيين وتنوّع الفضاء الجغرافي للعينة.

7. براديقم البحث:

فيما تعلّق بالإطار النظري السوسيولوجي للبحث (البراديقم) فإننا سنهتمّ بدراسة التمثلات المتعلقة بالإعاقة من وجهة نظر الفاعلين الاجتماعيين لما في ذلك من تحدّى منهجي عرفته سوسيولوجيا التفاعلات الاجتماعية وأخصّ منها التفاعلية الرمزية، التي يمكن من خلالها فهم السّلوك الذي ينتج عن تفاعل معوق مع معوق آخر أو مع شخص آخر، وتحديد أنماط السّلوك واتجاهات السّلوك والمناطق التي تدعم فيها هذه العلاقات وفهم الرموز الناتجة عن الأسرة أو المجتمع أو في مستوى العلاقات بين المعوقين.

ولذلك تهتمّ نظرية"Ervin Goffman" و الذي يعتبر أحد روّاد التفاعلية الرمزية وقد قام بدراسة للمعوقين العضويين في كتابه "Stigmate" بالتمييز بين شقين العاديين من جهة والموصومين من جهة أخرى. فعملية الوصم تفقد الإنسان

الرتبة التي تمنحها له المجموعات الاجتماعية من خلال المعايير والقيم، والموصومين يجدون في كل الحالات سبلا وطرقا تمكنهم من التصرف في هذه الهوية المنقوصة وذلك باستغلال وضعيتهم لصالحهم [5].

ووفقا لطبيعة موضوع بحثنا والمتمثّل في دراسة التمثلات الاجتماعية للإعاقة في تونس. استخدمنا براديقم التفاعلية الرمزية بما أن الهدف الأساسي لتشكل هذه المقاربة هو تحليل الاندماج الاجتماعي للمعوقين، لذلك فإن هذا البراديقم يتماشى مع موضوع بحثنا وذلك بتحليل علاقة المعوق بالمجتمع أي علاقة الجزء بالكل. وقد قمنا بمحاولة فهمنا للدلالات والرّموز التي يضيفها المعوقين كفاعلين اجتماعيين على أفعالهم والتي تبني بدورها معيشهم اليومي. كما حاولنا دراسة سلسلة الاتصالات المتبادلة والتفاعلات بين هؤلاء المعوقين ومحيطهم انطلاقا من جملة الرّموز والمعاني التي يستخدمها المعوقين في معيشهم اليومي في إطار تفاعلهم مع بعضهم ومع الآخرين في إطار إبراز ذواتهم وتمثلا تهم للحياة اليوميّة التي تنسج معيشهم اليومي رغم ما يتعرّضون إليه من رفض وتهميش وإقصاء اجتماعي.

8. منهج الدراسة:

- **اختيار العينة:**

تعدّ التمثلات مدار اهتمام بحثنا: التمثّلات الاجتماعية للطّفل المعوق في تونس، حيث سنركّز بالأساس على مسألة الإعاقة في تصوّرات الجمهور المستهدف، وهم الأطفال ذوي الإعاقة العضوية، الأسرة، بعض أفراد المجتمع. وسنعتمد في ذلك تقنية المقابلة المباشرة ونصف الموجهة التي شملت أفراد العينة التالية:

جدول عـــ1ـــدد: العيّنة البشريّة للدراسة

الفئات المستهدفة	العدد
أطفال ذوي الإعاقة العضوية السن بين 6 و16 سنة	13
أولياء الأطفال	8
أفراد من المجتمع	10
المجموع	31

أمّا فيما تعلّق بالعيّنة الجغرافيّة، فقد قمنا باختيار فضاء محدّد وهي "الجمعيّة العامّة للقاصرين عن الحركة العضويّة بخز ندار بتونس العاصمة (تمّ تصنيف الجمعيّة العامّة للقاصرين عن الحركة العضويّة "أجيم" ضمن الجمعيّات الخيريّة والاجتماعيّة وحدّد عنوانها بـ 1 نهج البساتين –خزندار– باردو 2000. تحصّلت على التأشيرة عدد 4126 بتاريخ 1 أوت 1973 ووقع الإعلان بالرّائد الرّسمي تحت عدد 17 بتاريخ 21 أوت 1973. ويتكوّن الإطار العامل بهذه الجمعيّة من 46 عون من أصناف مختلفة إداريين أساتذة ومعلّمين ومربيّن مختصّين وفنّيين في العلاج الطبيعي وفنيين في النطق وفنّيين في العلاج الوظيفي وسائق وعملة.

ويقدّر عدد الأطفال بالجمعيّة بـ 100 طفل مقسّمين حسب درجة الإعاقة والمستوى التعليمي، تهدف هذه الجمعيّة إلى:ـ المساهمة في إعانة المعاقين عضويّا على التّمتع بالعلاج في أنجع الظروف، المساهمة في العمل الاجتماعي والتربويّ والتّرفيهي لدى المعاقين عضويّا وعائلاتهم حتّى يمكّنهم الاستفادة القصوى من وسائل التّرويض والعلاج المتّبعة ومساعدة المعوق عضويّا على الاندماج في المجتمع وذلك فيما يخصّ التّكوين الدّراسي والمهني ومساعدته على البحث عن الشغل الملائم لإعاقته).

وقد قمنا باختيار مجموعة من الأطفال القادرين على التّعبير والتّواصل مع اعتماد مجموعة من المتغيّرات كالجنس والسنّ والمستوي التعليمي وقد تمّت

المقابلة على انفراد وعلى عدة مراحل، نتيجة ارتباط الطّفل ببرنامج يومي، فاستغلنا أوقات الرّاحة وغياب الأساتذة وفترة تواجد الأطفال المعوقين في منازلهم وخاصّة أثناء العطل وقد دامت المقابلة أكثر من 5 ساعات لأنّها شملت كل أفراد الأسرة. أمّا في مستوي العينة المرتبطة بأفراد المجتمع فقد اخترناها بطريقة عشوائية.

جدول عــ2ــدد: العيّنة المستجوبة حسب المتغيّرات بالنسبة للأطفال المعوقين

الجنس / والسن / المستوي التعليمي	ذكور		إناث		المجموع
	6-13 سنة	14-16 سنة	6-13 سنة	14-16 سنة	
ابتدائي	1	1	1	1	4
إعدادي	1	1	1	1	4
ثانوي	0	1	0	1	2
لايدرسون	1	1	0	1	3
المجموع	3	4	2	4	13

جدول عــ3ــدد: العيّنة المستجوبة حسب المتغيّرات بالنسبة للأولياء

الوضعيّة الاجتماعية / نوع المجتمع	المستوي الاقتصادي والاجتماعي			المجموع
	ضعيف	متوسّط	جيّد	
حضري	1	2	1	4
ريفي	1	2	1	4
المجموع	2	4	2	8

- **أدوات البحث:**

نتناول بالدراسة التمثلات الاجتماعية للإعاقة من خلال المعيش اليومي التونسي وقد اعتمدنا على أركان الملاحظة وهي:

المجال البشري: يتمثل في وحدة البحث المتكونة من الأطفال المعوقين عضويا، أسرهم، بعض أفراد المجتمع.
المجال المكاني: يتمثل في الإطار المكاني للبحث في العاصمة تونس.
تحديد الهدف المراد: يتمثل الهدف الأساسي لهذا البحث في البحث عن مدي إدماج المعوق في ظلّ التمثلا ت الاجتماعية.

وقد اعتمدنا المقابلة لأنها ستمكننا من تجاوز صعوبات الفهم والنطق لبعض المبحوثين فهي تتميز بقدر كبير من المرونة إذ تساعدنا من رفع الغموض عن بعض الأسئلة وشرحها للمبحوث مع توضيح بعض الكلمات والمفردات، ومن جهة ثانية تتيح لنا المقابلة فهم الظاهرة من خلال موقف المواجهة الذي سيجمعنا بوحدة البحث وطرح الأسئلة بشكل مباشر. كما تمكننا من فهم إجابات المبحوثين من خلال عدة مواقف وتعابير تظهر على قسمات وجه المعوقين: كالاستغراب، الصراخ، التجاهل، البكاء.

I. التمثلات الاجتماعية للإعاقة:

1 . تمثلات المجتمع للإعاقة:

يحمل المجتمع صورة سلبيّة عن المعوق، أثّرت على نفسيّته وعلى درجة إدماجه في المجتمع وقد تمثّلت هذه الصّورة في العجز والتهميش بل والتّحقير أحيانا أخري وهذا ماعبّر عنه أحد المستجوبين »**المعاق لا قيمة له في مجتمعنا هو مصدر للعناء والشقاء**".

على ضوء هذه المشاهد التى استقيناها من المعيش اليومى للمجتمع وتمثّلات أفراد المجتمع للإعاقة يجدر بنا ملاحظة واقع الإعاقة المتمثّل في إقصاء للفرد المعاق ولأسرته، وأن الحامل للإعاقة غير قادر بأن يكون فاعل في المجتمع بما أنه موصوما اجتماعيا. ولكن من الذّي مكّن من ترسيخ هذه الصّورة؟.

1.1 المعوق من خلال المخيال الإجتماعى:

المخيال الاجتماعي هو مجموعة التصوّرات التي يبنيها الفاعلين الاجتماعيين في إطار مجتمع معين له ثقافته ومن خلال ذلك يستعيد الأفراد ذواتهم التاريخية قصد إنتاجها وإعادة بنائها في صورة أخري. ومن هنا ينحصر المخيال الاجتماعي في مستويين:

- مستوي التصوّر: الذي يشمل كلّ التمثلات والبديهيات المخيالية التي ترسّبت في الذاكرة الجماعية فتتجلي عبر المنطوق الاجتماعي" le dire social" سواء كان شعرا شعبيا، حكايات، إشاعات...
- مستوي الممارسة الاجتماعية: وهي بمثابة امتداد للتصوّر الجماعي المتعلّق بواقعه.

بناءا على ما تقدّم، يمكن القول أن مؤسسة المجتمع تتراوح بين الممارسة الاجتماعية والمنطوق الاجتماعي وكلاهما يترجم الوجود الاجتماعي، أو مثلما عبّر عن ذلك كاستريابديس بقوله: »التاريخ غير موجود ولا معتبر إذا كان خارج مجال المخيال الجماعي الخلّاق أي المخيال الجذريّ حيث يتواصل الناس وينسّقون مع بعضهم في مجال رمزي [6].

إذا، ترسّخت صورة المعوق في المخيـال الاجتماعي التونسي وهو ما نلاحظه من خلال الملفـوظ الشفوي اليومي: "**مهبول، معاق، بكّوش، عايب، معوّج، أعور، أعمش**" وتكاد تعوّض هذه النعوت أسماء الأشخاص وتصبح بناءا رمزيا لهوية الأفراد ويشمل في بعض الأحيان هويّة العائلة، ذلك أنّ هذا المخيال الإجتماعى يرتكز على العنف الرمزي المبني على الشّكل وأبعد ما يمثّل مضمون الفرد.

هكذا نلاحظ، بأنّ المواقف والنعوت السلبية تعكس مخيال اجتماعي يحمله الفرد عن ذوي الإعاقة خاصّة وأن البعض يشعرون بالاشمئزاز والاحتقار"**لا أحبذ**

رأيتهم" والبعض الآخر يشعر بالشفقة "**مسكين**»، وفى كلتا الحالتين يغيب قبول الإعاقة ويبقى الوصم الاجتماعي نتيجة لهذا المخيال الاجتماعي السلبي.

2.1 **صورة الإعاقة:**

المعوق غير قادر علي بناء صورة نموذجيّة في المجتمع بما أن المحيط له دور كبير في بناء الصّورة الموجّهة للإعاقة. ومهما حاول المعوق إخفاء هذه الصّورة السلبيّة والتخلّص منها إلا أنّ مكانته الاجتماعية في المجتمع والمحيط يهيمنان على بناء هذه الصّورة التي تبدأ بالإقصاء لتصل للهامشيّة، وهذا ما بيّنه "عبد الستّار السّحباني" في أطروحته بتحديد مجموعة من الصور المهيمنة في المجتمع منها الصورة المرجع وهي الصورة التي يرغب الفاعل الاجتماعي أن ينظر إليه من خلالها، والصورة الوضع هي صورة الواقع المعيش الّذي يبلوره الفاعل الاجتماعي من خلال فعله اليومي. "وهذه الصّورة تتشكّل من خلال 3 أركان وهي:

- **الجوانب النفسيّة وتبرز من خلال:**
  - ✓ الشخصيّة .
  - ✓ الوضع المهني.
  - ✓ المظهر الخارجي.
- **الجوانب الاجتماعية وتبرز من خلال:**
  - ✓ الوضع الاجتماعي.
  - ✓ المكانة الاجتماعية.
  - ✓ العلاقة بالمحيط الخارجي.
- **الجوانب المعيشيّة وتتجلّى من خلال:**
  - ✓ السلوك اليومي.
  - ✓ آليات الفعل.
  - ✓ معالم النجاح [7].

ومن ذلك يمكن أن نستشفّ بأنّ المعوق يعيش صراع بين صورة المرجع وصورة الوضع بين ما يرغب أن ينظر إليه وبين ما هو معيشي وفى هذا الإطارتلتقي المكانة الاجتماعية مع العلاقة بالمحيط بل إنّهما يصبحان بالنّسبة إليه مرادفان على اعتبار أنّ هذه المكانة ليست من انتاجه وهو غير قادر على تغييرها فهي النتيجة المباشرة لفعل المحيط [8].

3.1 المعوق من خلال الذاكرة الشعبية:

تبيّن لنا إثر تحليلنا للذاكرة الشعبيّة الموجّهة للمعوقين بأنّ الأمثال الشعبية تحتلّ مكانة هامّة من الذاكرة الشعبية، بما أنها منتشرة بين الناس، إذ يمكن أن تعبّر عن الحياة من خلال الأقوال، والتى تؤدي لعديد الوظائف كالتعليمية والتسلية... وتعتبر "كلودين شولى" من خلال مسارها الطويل في البحث أن علماء الاجتماع في البلاد المغاربية قد استوعبوا ضرورة القيام بمقاربات حول الموروث الشعبى ولا سيما الأمثال الشعبية.

لقد تجسّدت الذّاكرة الشعبيّة في بعض الأمثال الشعبيّة التي تقوم على الدّونية، وقد اختلف فهمها والتّعامل معها وقد اعتمدنا هذا الجدول لتفسير المعنى الدلالي لبعض الأمثال الشعبيّة التونسيّة والمرتبطة بالإعاقة.

الرقم	نصّ المثل الشعبي	المعنى الدلالي للمثل
المثل 1	لشكون تحرقص يا مرت الأعمى؟؟	ليس هناك ضرورة للتزيّن فزوجك الكفيف غير قادر على رأيتك. ما يبيّن الاستهتار من وضعيّة الكفيف.
المثل 2	منظرك في المليح تسبيح ومنظرك في القبيح كفر باللّه.	ملامح الوجه الجميلة هي تسبيح بالله والوجه القبيح هو كفر بالله، يقوم هذا المثل على المقارنة

		بين جميل الوجه وقبيح الوجه وارتباط كلاهما بالبعد الديني والإلاهي.
المثل 3	كيف الأطرش في الزفّة.	مثل الأصمّ في حفل زفاف. يستهتر من صورة الأصمّ في حفل زفاف خاصّة وانه غير قادر على سماع الموسيقي.
المثل 4	جاء يطبّها عماها .	حاول أن يصلح الشيء فأعماه (أفسده)، مايبيّن بأنّ مفهوم العمى مرتبط بالمعيش اليومي التونسي، ومن فشل بالقيام بأحد الحاجيات فهو كفيف. مايبيّن الحقل الدلالي للعجز وارتباطه بالكفيف.
المثل 5	عوراء وتغمز	أعور العين ويغمز، استهتار من وضعيّة أعور العين.

تبيّن لنا إثر تحليلنا لهذه الأمثال بأنّها تعطي فكرة على مكانة المعوق في المخيال الإجتماعى، التي ترسخت في تفكيرنا من خلال التنشئة الاجتماعيّة. »فالفرد لا تتحدّد هويّته ولا يتحقق إلا عبر مسار التنشئة الاجتماعية"[9].

ولنا أن نلاحظ بأنّ هذه الازدواجية أفرزت صورة نمطيّة للمعوق من خلال الأمثال الشعبيّة، صورة يعطيها المجتمع لكلّ المعوقين التي بإمكانها أن تساعدنا على فهم تواصل إقصاء المعوق وذلك بالاعتماد على المخزون الثقافي الذي يساعد على فهم بعض الظّواهر الاجتماعيّة التي تؤكّد تواجدها وتجذّرها من الأغاني والحكايات والأساطير والتي تمثل نموذجا نشأ عليه الفرد وتأثر به. فجدير بنا أن نتساءل على ضوء ما تقدّم تحليله: هل أن هذه الذاكرة تعكس ممارسات أفراد المجتمع تجاه المعوق؟ وكيف يمكن إدراك هذه الظاهرة؟

4.1 الإدراك

إنّ الممارسات الاجتماعية تجاه المعوق تتميز بالرفض الكامل أو تقبّل المعوق لدافع الشفقة، فكيف يمكننا قبول الآخر رغم اختلافه عنا؟.

للمخيال الاجتماعي تأثير سلبيّ على المعوق بما أنّ الأشخاص غالبا ما يتجنّبونه وينظرون إليه كعاجز وغير قادر على العناية بنفسه أو أنه موضع شؤم، فإدراك الإعاقة مرتبط بالمساواة بين جميع الأفراد دون النظر للونهم أو جنسهم أو إعاقتهم. فتهميش مجتمع لفئة اجتماعية هي آليات دفاع ذاتي كإرادة إثبات الذات أو إرادة الاستعلاء والتفوّق التي يمكن أن تتّخذ أشكالا مختلفة ولكن هذا التهميش أو الإقصاء من شأنه أن يعمّق من أزمة الإعاقة لدى المعوق، ويشعر بأنّ لا مكانة له في مجتمعه، وهذا الأمر يثير عديد المسائل ذات الأهميّة البالغة لعلّ من أبرزها مفهوم المواطنة وما تثيره من إشكاليّات من نوع المساواة في الحقوق والواجبات مع مراعاة بعض الاستثناءات التي يتمتّع بها المعوق، ومن الضروريّ إدراك قيمة الفرد المعوق كمواطن قادر على الإبداع والتغيير باعتباره فاعلا اجتماعيّا .

2. تمثلات الأسرة للإعاقة:

1.2 التحوّلات الاجتماعية داخل الأسرة التونسيّة:

عرفت العائلة التونسيّة خلال تاريخها الطويل تطوّرات عديدة عكست ثراء الفضاء الحضاري الذي تستمدّ منه جذورها فكانت محلّ اهتمام الباحثين المتتبّعين لمكانز مات التغيير الاجتماعي. "يناهض التفسير السوسيولوجي لتغيير المجتمعات والارتكاز على العوامل التكنولوجيّة والجغرافيّة والبيولوجيّة لتفسير ظاهرة تغيير المجتمعات الإنسانية، في حين يركّز الاتّجاه السوسيولوجي على التغيّر في العلاقات الاجتماعيّة كأساس ومصدر لهذا التغيّر [10].

وضعيّة الأسرة في المجتمع التقليدي مبنيّة عن السّلطة، وهي أساس العلاقات الاجتماعيّة أي سلطة الرّجال على النساء، "فخصائص دور الأب العربي في المرحلة السابقة للإسلام أقرب إلى نموذج الأب الروماني الذي يملك حقّ الحياة

أو الموت على أبنائه الذين لا يروقه بقائهم والغير طبيعيين وخاصّة المعاقين والمشوّهين فيعمد إلى إغراقهم أو تعنيفهم حتى الموت [11].

فالمرأة بمختلف وظائفها يتحدّد دورها في تنظيم الشؤون الداخليّة للبيت فلم تكن تطرح دور الحضانة ورياض الأطفال وغيرها من المؤسّسات الحاضنة، إذ هي تعيش في المجتمع التقليدي داخل فضاءات محدودة ومختلفة تقتصر على البيت والحمّام وهذا ما أشارت إليه "تراكي زناد" في كتابها "أمكنة الجسد في الإسلام" بأنّ المرأة تحمل الذّاكرة الجماعيّة أكثر من الرجل بما أنّ المنزل يعتبر فضاءها وهي الملكة فيه.

تعرّضت العائلة التونسيّة إلى تغيّرات نتيجة التحوّلات الاقتصاديّة والاجتماعيّة مثل التصنيع والطرق الحضريّة في الحياة وانتشار التعليم فكانت لها تأثيرات واضحة على المشهد الأسرى مما ترك المجال لبروز مؤسّسات المجتمع المدني. فعلاوة على تطوّر المستوى التعليمي والثقافي للمرأة التونسيّة والّذي دفعها للمشاركة في سوق الشّغل، تركت المجال ورائها لعديد المؤسّسات الاجتماعيّة الحاضنة، كدور الحضانة ورياض الأطفال. ولكن بيّن "صلاح الدين بن فرج "في دراسة قام بها بان" ليس هناك شكّ أنّ أسرتنا النواتيّة لا تزال تحمل رواسب وخصائص العائلة التقليدية الممتدّة، لهذا يمكن أن نطلق عليها اصطلاحا اسم الأسرة النواة المعدّلة أو الأسرة العائليّة، لما في ذلك امتزاج بين سمات المحافظة والانفتاح[12].

"وقد ظهرت مشكلات أخرى لا يقلّ تأثيرها المزعج عن الفقر والظّروف المعيشيّة الصّعبة، مثل التفكّك الاجتماعي، وسيادة النزعة الفرديّة، وتزايد معدّلات الطّلاق والإجرام وظهرت الرغبة الملحّة من قبل الباحثين الاجتماعيّين في المساعدة على حلّ تلك المشكلات التي أخذت تزداد اتّساعا وخطورة يوما بعد يوم والإسهام في الإصلاحات الاجتماعيّة[13] .

2.2 دراسة أهمّ المتغيرات المؤثرة في رعاية الأسرة لأطفالها المعوقين:

تتأثر رعاية الأسرة للطفل المعوق بعديد العوامل لعلّ أهمّها الوسط الجغرافي الذي توجد فيه الأسرة وكذلك حجمها وإمكانياتها الماديّة والخصائص المرتبطة بالطفل المعوق ومدى قبول الأسرة لطفلها المعوق.

في إطار بحثنا الموسوم بالتمثّلات الاجتماعية للطفل المعوق عضويّا في تونس، استطعنا أن نبيّن بانّ الوسط الجغرافي والإمكانيات المادية لها دورا كبيرا في تحديد نوعية الرعاية التي يمكن أن توفرها الأسرة لطفلها المعوق. ففي الوسط الريفي تتميّز الأسرة بالتّضامن وأغلبها عائلات ممتدّة والطّفل دائم الارتباط بأمّه ولا يفارقها وكذلك يكون حاضرا في المناسبات كالأعراس، والختان " **ولدي هو عينيا** [14] .

والطّفل المعوق داخل الأسرة لا يحرم من أيّ شيء **"الناس الكلّ في الحوش تحبّ"**. لذلك فان الأسر الريفية لا تزال قادرة أكثر من الأسر الأخرى على توفير رعاية جيدة لطفلها المعوق، ولكن هناك بعض الأسر الريفية ذات الإمكانيات المحدودة قد تحتاج للمساندة ولكن اقل من تلك التي تحتاجها الأسرة المنتمية للمجتمع الحضري وخاصة منها الأحياء الشعبية التي تعاني الفقر والخصاصة وكثرة البطالة.

من ناحية أخرى توصّلنا من خلال بحثنا الميدانيّة، إلى دور الظروف الصّعبة في التّأثير على نفسيّة الوالدين والمعوق، فهذه الفئة من ذوي الاحتياجات الخصوصيّة تواجه مشكلة الإعاقة ومشكلة الفقر والحرمان ورغم ذلك تسعى اغلب هذه الأسرْ للاستمرارية والحفاظ على وضع أسري سليم في إطار تفاعل وتواصل ونظام. وللأمّ في كلّ الأسر دور أساسي في رعاية طفلها المعوق وتتحمّل العبء الأكبر **"راني عييتْ ظهْري مُرُضْ ماهَزّان"، نُبْقَى بالسَّاعَة نْفطّر فِي بِنْتِي"**.

3.2 مشكلات الأسرة الرّاعية لطفل ذو الإعاقة العضوية:

- **مشكلات ماديّة**

إنّ رعاية طفل معوق عضويا قد يتطلب من الأسرة إمكانيات ماديّة كبيرة تعجز بعض الأسر عن توفيرها لمحدوديّة دخل أفرادها. فما يحتاجه المعوق من أدوية وآلات تعويضيّة ومن رعاية دائمة تعجز الأسرة على مواجهته. يعيش بذلك بعض أسر المعوقين ظروفا اقتصاديّة واجتماعية صعبة ومتدنيّة ويواجهون ضغوطا نفسيّة كبيرة نتيجة الحرمان والصّعوبات الماديّة وكذلك نتيجة الحاجة لأدوات خاصّة والعناية الطبيّة "**إيجا شوف البيتْ عدها طاحَتْ علينَا**" وقد تنعكس هذه الظروف بصورة سلبية على علاقاتها الداخلية ذلك أن الواقع يبين لنا أن بعض الخلافات الزوجية قد تجد جذورها في المشكلات المادية التي تطرحها رعاية طفل معوق.

- **مشكلة قلّة المعرفة حول الإعاقة وحقوق المعوق في تونس**

لنا ان نلاحظ بأنّ بعض الأسر رغم اجتهادها ورغم ما يتوفر لأفرادها من رغبة في ضمان رعاية جيدة لطفلها المعوق إلا أن درجة الرعاية تبقى محدودة فكلّ الأسر التي قمنا بزيارتها والتي لا يذهب طفلها للجمعيّة هي أسر غير واعية بحقوقها حتّى أنّ المنحة المخصّصة للطّفل المعوق لا يتمتّعون بها "**منعرفش، شكون بش يقلي**" حتّى أنّها لا تعي جدوى العلاج الحديث خاصّة إذا لم يحصل التحسّن الفوري تلتجئ للعلاج الرّعواني مايعكس غياب الوعي بحالة المعوق.

أمّا الأطفال فهم يعانون العزلة والوحدة فهم مهمّشون في لباسهم ونظافتهم ورعايتهم ما يجعل الطّفل غير قادر نفسيّا ولا جسديّا على التّواصل والتّفاعل. فإلى جانب محدوديّة الدّخل فإنّ الأسر غير واعية بأهميّة رعاية ابنهم وكيفيّة مُعامَلَتِهِ. وهناك بعض الأولياء لهم مصالح تشغلهم عن الاهتمام بأطفالهم وتصبح العناية بالطّفل من المهام غير المستحبّة. "فلا يتحقّق الإدماج العائلي الذي يعدّ ركيزة الإدماج المدرسي والمهني إلاّ إذا تقبّل الوالدان والإخوة الطّفل المعوق كما هو أيّ بإمكانيّات محدودة متبقّية له فلا هم ينكرون الإعاقة فيطالبونه بما لا يقدر على أدائه ولا هم يبحثون الإمكانيّات والطّاقة الكامنة فيه [15] .

تعتبر الأسرة أنّ دورها في رعاية الطّفل يتمثّل في إطعامه وتغيير ثيابه ومساعدته على القيام بحاجته. فهي غير واعية بأهميّة التوازن النفسي بالنسبة للطفل المعوق.

- **مشكلة الإرهاق والضغط النفسي**

رعاية طفل معوق عضويا وما تتطلبه من وقت من أفراد الأسرة وما تفرضه عليهم من التزامات مستمرة قد تخلق لدى بعض الأسر حالة من الإرهاق والضغط النفسي خاصّة لدى الأمّ بما أنها غالبا ما تكون الفرد المباشر لرعاية الطّفل المعوق. وقد يتعمّق هذا الضغط النفسي والإرهاق فيؤثر على توازن الفرد ويفقده لذّة الحياة كما قد يؤدّى إلى إصابته ببعض الأمراض الجسميّة.

هذا معناه أنّ إعاقة الطّفل هي إعاقة الأسرة، فالوالدان لديهما إحساس مرهف وقابليّة للتأثّر فيما يتعلّق بطفلهما المعوق. فالتوازن النفسي للمعوق يتحقّق بالتوازن الأسري من حيث تماسك العلاقات وقبول الإخوة لإعاقة أخيهم المعوق ولهم دور هامّ في مساعدة الطّفل لمجابهة إعاقته.

4.2 مدى قبول الأسرة لإعاقة ابنها:

تميّزت فترة الحمل بالنسبة للحالات التي قمنا بدراستها بمتابعة طبيّة وأنّ أغلب الأسر تنتظر طفلا عاديّا ومثاليّا وبدون عيوب إذ يتبع فترة الحمل إحساس بالتوتّر وهو شعور عادّي يصاحب كلّ مرحلة ولادة.

استنادا للعمل الميداني الّذي قمنا به سجّلنا بانّ أوّل ردّ فعل يوافق الوالدين بعد الولادة هو الصّدمة نتيجة الحقيقة التي يصعب تقبّلها وهي ولادة طفل معوق ليس الذي تخيّلوه. فكلمة **"تِصدَمِت"** تكرّرت في أغلب المقابلات مع الوالدين ما يعكس شدّة وصعوبة تقبّل الإعاقة العضويّة غير المتوقّعة.

وبالتالي يسعى الوالدان بعد الولادة للبحث وتحديد الأسباب ولكن الثّابت والأغلبيّة يحمّلون الأطبّاء مسؤوليّة الإعاقة من خلال إهمالهم أثناء الولادة، وهذا السّبب يتطوّر ما يؤدّي إلى عدم الثّقة بالأطبّاء ويجعل بعض العائلات تلتجئ للبحث عن العلاج خارج البلاد التونسيّة **"مَا عَادْش عندي فيهُم الثقّة"** ومجموعة

أخرى من الأولياء يحمّلون أنفسهم مسؤوليّة الإعاقة خاصّة الحالات التي تعرّضت لحادث مرور أو ارتفاع حرارة الجسم وانجرّ عنها إعاقة عضويّة ما يتبع الأولياء الشعور بالذّنب ويتولّد عنه حماية ورعاية مفرطة. إنّ الأسرة نوعان: الأسرة الرّافضة للإعاقة والمهمّشة لطفلها والأسرة التي تحمي طفلها وترعاه بطريقة مفرطة "**ولْدي هو حيَاتِي، بطّلت خدْمتِي وتلهيت بيه**" وهذا ما يعمّق مشكلة الإعاقة وهو عدم قبولها. فالرّفض يصاحبه التّهميش أمّا الشعور بالذّنب فيصاحبه الحماية المفرطة وقد حضرت القيم الدينيّة في مقابلات أغلب الأولياء ما يعكس أنّ الجانب الدّيني هو عنصر أساسي لمجابهة مشكلة الإعاقة وقبول حالة الطّفل "**إعَاقَة ولْدي ابتلاء من عند الله**" "**رَبّي يمتحن فيَّا**" "**حَاجَة مِنْ عندْ ربِّي...**". ومقابل ذلك يرفض الأولياء نظرة المجتمع وعبارات الشفقة التي تعمّق من الضغط النفسيّ الذي يعانون منه "**أكْثرْ حَاجَة تقْهرنِي، كلْمة اللّطْف وإلاّ مِسكينْ**" ممّا يدفع أغلب الآباء إلى العزلة والخجل من إعاقة ابنهم بما أن التمثلات الاجتماعية الموجّهة للمعوق تكون عادة سلبيّة وحاملة لمعاني الرفض والإقصاء.

3. تمثلات المعوق للإعاقة:

1.3 الصورة الذاتية:

"تأتي معظم استخدامات مفهوم الذات في مجال التفاعلية الرمزيّة وذلك لتخطي مشكلة انّ الناس هم كائنات بيولوجية فريدة، ومبدعة وصاحبة تجربة ومع ذلك فإنهم في نفس الوقت بمثابة مخلوقات تخضع لنظام اجتماعي مقيّد[16] .

يتأثّر مفهوم الذّات بالإعاقة مهما كانت درجتها إذ يمكن أن يكون المعوق ضعيفا وغير قادر على قبول إعاقته أو أن يظهر عداوة وعنفا شديدين. فتصوّر المعوق لجسمه مرتبط بمفهوم الذّات فكلّما استطاع قبول إعاقته وجسمه كلّما كان الخوف والنّكران منخفضين، فالفرد يعي الآخر المعمّم ويستبطن القيم والاتّجاهات السّائدة في وسطه الاجتماعي التي تساهم في جعله يطوّر اتّجاهاته الاجتماعيّة تلقائيّا وينمّي خبرته ومشاعره وتساعده على إتيان أفعال اجتماعيّة ملائمة.

على هذا الأساس، يتطوّر مفهوم الذّات بتطوّر اتّجاهاته الاجتماعيّة وبتحقيق ذاته في المجتمع وتطوير حياته ومستقبله رغم ما يتعرض إليه من رفض وتهميش وإقصاء اجتماعي ذلك أن القدرة على التفاعل واكتساب مهارات هي التي تجعل الفاعل قادرا على "التجاوب مع بقية أفراد مجموعته ومن ثمة يكون قادرا على رسم ذاته وتحقيق التمثلات الاجتماعية من خلال تمثلاته للحياة اليومية التي يتقاسمها مع الآخرين"[17] .

ومن نتائج التحليل يمكن أن نستنتج بأن المعوق يتطلع لصور اجتماعيّة تعكس مراكز اجتماعيّة هامّة ومحترمة ويوجد ما يعبّر عن حلم عدد كبير من الأفراد، فدلالة الصورة تعكس أحلاما فردية تخصّ نظرة الإنسان الخارق لكلّ العراقيل وأحلاما جماعيّة تحمل مجموعة من الأحزان وتحمل مجموعة من القيم مثل: إنقاذ الناس، العلاج، المساواة، حبّ الآخرر.

2.3 درجة الإعاقة:

تختلف درجة الإعاقة من فرد إلى آخر وتختلف خاصيّاتها، فهناك الإعاقة الخفيفة، والمتوسّطة والعميقة وتعتبر الإعاقة العميقة من أشدّ الإعاقات بما أن يصعب التّعامل مع المعوق وتوفير إمكانيّات إدماجِهِ. فكلّما تعمّقت الإعاقة كلّما صَعُبَتْ رعايته وتبيّن أغلب البحوث أنّ المعاقين شديدي الإعاقة لا يمكن إدماجهم حتّى تطوّر مستوى نمائهم يبقى محدودا ممّا يعسر عمليتي التّكوين والتشغيل بالنسبة لهم. وتعتبر الجمعيّة مكانا رمزيّا بالنّسبة للمعوق.

تراءى لنا من خلال الملاحظات التي سجّلناها عبر وتيرة المعيش اليومي للمعوق، بكون جغرافيّة الفضاء تبدأ وتنتهي مع بداية جغرافيّة التواصل الاجتماعي للجماعات، فجغرافيّة التفاعلات مرتبطة بتناول الفضاء وثقافة الجسد في صلة بالفضاء تطرح على مستوى اللاّوعي أكثر منه الوعي ولممارسة الفضائية هي جانب من الجوانب التي تشكّل تمثّل الفاعل لفضائه الذي يتعاطاه بعقله ووجدانه وخياله وأحلامه وحتى ذاكرته التي تشدّه عبر الفضاء للجماعة. ويقوم

الطّفل المعوق بمجموعة من الممارسات والأنشطة داخل الجمعيّة ويعتبرها فضاء للتّواصل والتّفاعل مقارنة بفضاءات أخرى.

دلّت نتائج البحث بان الطفل المعوق يعتبر الجمعيّة فضاء انتمائه، بما أنّه مرفوض من المجتمع، ولا يملك من الأصدقاء أنيسا فيعتبر الجمعيّة فضاء التقائه بأصدقائه الذين يشاركونه الإعاقة والحوار...فرمزيّة الجسد في الفضاء مرتبطة بالتّفاعل. فالمعوقين تتشابه ظروفهم فجلّهم بحاجة للشّعور بالانتماء، والجمعيّة تخلق فيهم الشغف للانتماء إلى مؤسّسة واحدة تكوّن هويّتهم الاجتماعيّة، فالحياة الاجتماعيّة للمعوق تشكو العزلة ذلك أنّ تناقل المشاعر والأفكار وتحقيق عمليّة التأثير المتبادل وما ينتج عنها من اكتساب القدرة الكافية لإدراك وتدعيم الذّات.

4. استراتيجيات تغيير التمثلات الموجهة للمعوقين والعمل على تفعيل المعوق:

يمكن تغيير التمثلات الاجتماعية للإعاقة من خلال تكافئ الفرص وتكامل الأدوار بين جميع الجهات فهي مسؤولية جميع الأطراف:

- القيام بحملات تحسيسيّة وأيّام دراسيّة لتغيير هذه الصورة السلبيّة الموجّهة لذوي الإعاقة واعتبار الإعاقة تنوّع بشري.
- إرساء محيط مهيّأ لذوي الإعاقة.
- إدراج برامج حول الإعاقة في الكتب المدرسيّة.
- على كل المنظمات والوزارات المختصة بالإعاقة بما فيها الشؤون الاجتماعية، التربية، الصحة... وكذلك الإعلام القيام بعمل تربوي وتثقيفي.
- الدفع من أجل الضمانات.
- تقديم حملات تحسيسية لاحتياجات وحقوق المعوق خاصة في المناطق المحرومة والريفية.
- مشاركة المعوقين في رسم السياسات الاجتماعية والاقتصادية التي تهمه.
- وضع خطة متكاملة لإدراج قضايا المعوق في ثقافة المجتمع.

خاتمـــة:

توصّلت دراستنا إلى توضيح وتفسير تمثّلات المجتمع للمعوق من خلال المخيال الجماعي، الأمثال الشعبيّة والذاكرة الجماعيّة الموجّهة لذوي الإعاقة ويختلف تفسيرها لسبب أو لآخر. ومن ناحية أخري تبيّن لنا أنّ هذه التمثّلات تأثّر سلبا على اندماج المعوق في المجتمع خاصّة وأنّ الأسرة الّتي لها طفل معوق تعيش مجموعة من الصعوبات، بما أنّ رعاية طفل معوق عضويّا تفرض العديد من الالتزامات المستمرّة التي قد تخلق لدي بعض الأسر حالة من الإرهاق والضّغط النفسي ومن ذلك يمكننا تأكيد فرضيّتنا بكون الوصم الاجتماعي يؤثر على اندماج المعوق في المجتمع.

فالطّفل المعوق في حاجة أكيدة للرّعاية ومن الضروريّ قبول إعاقته وتغيير هذه الصّورة النمطيّة، فالإعاقة هي مسؤوليّة جميع الأطراف منها: الدّولة والأسرة والجمعيّة والإعلام والمجتمع... يجب على كلّ الاطراف أن تتفاعل لتغيير واقع المعوق خاصّة وأنّ الكثير منهم مازالوا يلازمون منازلهم خوفا من نظرة المجتمع وجهلا منهم لحقوقهم.

❖ **هوامش البحث:**

(1) معز بن حميدة: **التمثلات الاجتماعية لمهنة الخدمة الاجتماعية واستراتيجيات التغيير**، المجلة التونسية لعلوم الشغل عدد25، تونس، 2006، ص 57.

(2) مجموعة من المؤلفين تحت إشراف عبد الستّار رجب: **الإعاقة والمنظور السوسيولوجي والأنثروبولوجي**، وحدة البحث الإبديمولوجيا الوراثية والجزيئيّة، تونس، 2008، ص 69.

(3) وزارة الشؤون الاجتماعية: **مجلة النهوض بالأشخاص المعوقين والنصوص التشريعيّة والترتيبيّة**، تونس، 2009، ص14.

(4) Denise (Jodelet): Représentations sociales, **phénomènes concepts et théorie**, PUF, Paris, avril 1993, p65.

(5) Goffman (Erving) : stigmate : **Les usages sociaux des handicapés**, les éditions de Minuit, Paris, 1975

(6) Cornelius (Castoriadis) : L'institution imaginaire de le société, Paris, Seuil 1975, pg204 .

(7) عبد الستّار السّحباني: **التحوّلات الاجتماعية وإشكالية هوامش الفعل للمجتمع الموازي**، أطروحة دكتورا دولة، كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعية، تونس، 2003 – 2004، ص272.

(8) عبد الستار السّحباني: مرجع سبق ذكره، ص346.

(9) Cornaton (Michel) :**Groupes et sociétés**, Toulouse Privat, 1969, pg15.

(10) عبد الحليم رضا عبد العال: **التغيير الاجتماعي وهيكلة المجتمعات المعاصرة**، مكتبة الانجلو المصري، مصر، 2005، ص29.

(11) Rousselle (Aline) : **Gestes et signes de la famille dans l'empire romain**, histoire de la famille, tome 1 opt cite, pg 256.

(12) صلاح الدّين بن فرج: **العائلة والتحوّلات الاجتماعية في تونس**، شهادة التعمق في البحث، دكتورا مرحلة ثالثة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1998، ص 459.

(13) أحمد السالم لاحمر: **علم اجتماع الأسرة (بين التنظير والواقع المتغّير)**، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولي، بيروت لبنان، 2004، ص27 .

(14) ملاحظة: مثل هذه العبارات وغيرها من العبارات هي من الملفوظ الشفوي التونسي أي اللّهجة العاميّة التونسيّة والتي لها صلة بالمقابلة موضوع الدّراسة.

(15) محمد الرّاجحي، عبد الرزّاق عمّار: "**دراسة حول تربية المعوقين في البلاد العربية**"، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1982، ص 90.

(16) ميشال مان، ترجمة عادل مختار الهواري: **موسوعة العلوم الاجتماعية**، مكتبة الفلاح، تونس، ص 635.

(17) Goffman (Erving): **La présentation de soi**, Edition de minuit, coll., Le sens Commun, 1973, p45.